حين يضم الفدائيون ، في قواعدهم هذه الرواية الى صدورهم

« الليلة عرس فهد البصاوي . ابوه النمر ، واصل عائلتهم من جبل البصة ، على مسافة يوم واحد من المشي عن عكا الشريفة ، لا اكثر .

كتبوا كتابه على فاطمة بنت ضيعته ، منذ سنتين ، وكانا مخطوبين لبعضهما قبل ذلك سنوات . والليلة الليلة ، بعد ان ظل الفهد يعاند ويكابر ولا يقبل ان يتزوج، فالليلة يزوجونه في حفلة عرس دقاقة رنانة . يحييها اللاجئون من اهل جبل البصة وهم مبسوطون ، بالرقص والغناء والدق على جميع انواع آلات الطرب . فيا رب اتمم فرحة اللاجئين ، بعرس ابنهم فهد ، يا رب .

وقد قرروا ان يجعلوا من العرس ، حفلة عالمية لا مثيل لها بين جميع حفلات الاعراس في جميع انواع مخيمات اللاجئين والمشردين ، في سائر عموم انحاء الاقطار العربية » .

●

بهذه الصفحة ، وعلى مدى ١٢٥ صفحة روائية ، يشهدنا اديب نحوي – (أصبح وزيرا للعدل في الحكومة السورية الاخيرة) – على عرس فلسطيني مجيد ، وشديد البهاء . وسيكون لنا ان نعرف ، من خلال الرصد الشعري الامين للمؤلف ، التفاصيل الصغيرة والعميقة التي يحفل بها هذا العرس المشهود ، الذي يشرق في وجدان شعب بكامله ، منذ مأساة خروج ١٩٤٨ . وليس هناك في الرواية القصيرة ، ما يحمل على الاعتقاد انها كتبت لصالح رمز سابق في ذهن المؤلف . فالعرس موضوع الرواية ونسيجها هو بحق : عرس حقيقي كالذي يجري في حياتنا بمادته الواقعية . فلا يقتحمه او يتدخل في سياقه الرمز ، وان كان ينبثق عنه او يتفجر منه . ان العريس هو : العريس . الشاب فهد ابن المخيم . والعروس هي : العروس . فاطمة بنت ضيعته في جبل البصة ، ثم بنت المخيم في ما بعد الخروج . وكذلك الاشخاص الاخرين الذين سنتعرف الى ملامحهم الحقيقية الحية ، كما في الواقع . وكذلك علاقات العرس ، العادية و « التقليدية » : الاستئذان ، « كتابة الكتاب » ليالي التعاليل السبع ، يوم الزفة ، حفلة « ليلة الدخلة » ، الضيوف « الاكارم » .. الخ، كما قال همنغواي من قبل ، من ان البحر في روايته « الشيخ والبحر » هو قبل ان ينطوي على اي شيء : البحر بمائه العظيم . ومن ان الشيخ : ليس الا شيخا مثل كل شيوخ البشر .

وهكذا ، فاننا اذا ما اردنا تجريد الرواية من الرمز ، ونقلها الى صف « الحياة » ، فانها تظل قائمة ومالكة لشروطها : باشخاصها ، بأمكنتها ، بتنامي احداثها ، وجماع سياقها .

والرمز على اية حال ، لا مكان له ، خارج حدود الوجود الانساني ، الموضوعي . غير انه من المؤكد ، ان أديب نحوي ، قد فهم ان المأساة ثم المقاومة الفلسطينية ، هي واقعة تحتشد بالرموز ، وبدلا من ان يسقط عليها رموزا ذهنية او يقوم بعملية انزال نظري ، شاء ان يجسد تلك الواقعة ببعض دقائقها ويومياتها الانسانية ، بنبضها ودفقها الاول . فاتخذ بذلك الرمز تعبيره الطبيعي الملموس ..

●

لنذهب قليلا في العرس الذي اقامه اديب نحوي .

ان العريس قبل ان يأخذ اليه عروسه لا بد له من استئذان ولي أمرها . أبوها . فذلك « حسب الاصول والعادات المعروفة في الجبل » . والشاب فهد « وان كان لا يعرف عن الجبل سوى ما يتذكره من صورة البحر والوادي ، لكنه تعلم من ابيه وان في مخيم اللاجئين : كيف الجبل » . وسيعمل العريس على ان يستأذن بدلا من عروسه : « نغير الطريقة من مخيمية الى بصاوية : انه لا بد للزواج من اذن . ومن بصاوية عتيقة الى بصاوية جديدة : ان العريس هو الذي يستأذن ، نيابة عن عروسه » .

وهنا لنلتفت فان الطريقة في هذا العرس ، قد تغيرت : من مخيمية الى بصاوية . ومن بصاوية عتيقة الى بصاوية جديدة .

وتقتضي هذه الطريقة ان يذهب الشاب الفلسطيني الى والد عروسته . وهذا راقد قرب جبل البصة في فلسطين . فقد سقط هناك وهو يسأل امرأته ، في ما اذا بقي لبارودته العثملية ، شيء من الفشك غير المسرطب .

وفي انتظار عودة العريس حاملا العلامة انه وصل ، تقام مظاهر العرس .

« كانوا قد نصبوا في ساحة المخيم ، تختا . وعلى امتداد عرض الساحة امام التخت ، رفعوا عمودين من الخشب . يتوسطهما في منتصف المسافة تماما ، عمود طويل .. طويل ، يرتفع فوقهما بمقدار مترين واكثر . فبين العمودين ، مدوا شريطا طويلا . وفي الشريط الطويل ، علقوا ثلاثا وعشرين لمبة كهرباء صغيرة » .

لماذا ثلاثة وعشرين لمبة ؟

« بعدد سنوات عمر فهد . فكانت الليلة نحتفل ايضا بعيد ميلاده . وعلى العمود المرتفع نصبوا العلم . وعلقوا فوق العلم ، في رأس العمود لمبة كبيرة .. كبيرة .. وتحته خارطة فلسطين . مرسومة على لوحة كبيرة : انها عربية » .

وفي انتظار رجوع العريس ، تستمر مظاهر الفرح . ان العادة تقتضي ان تخرج العروس من بيت أقرب أقربائها الى بيت عريسها . وهنا من بيت عمتها . وعند خروجها مع جمع من نساء المخيم ، تركض وحيدة صوب الشمال .

« يا اختي : ان لم تكن فاطمة تقدر أن تخرج الى بيت عريسها من عند أبيها فلا تزعلي . وبيتك يا عمة كأنه بيت ابيها . لكن ألا تظنين انها تفضل ان تخرج الى بيت عريسها ، من عند امها ؟ الا تظنين ، والا فلماذا ذهبت باتجاه الشمال . ماذا في شمال المخيم ، غير انها ذاهبة لعند امها » . وفاطمة العروس ، من جهتها ، لا تريد أن تفقد حقها القديم ، في الاستئذان : « هل انك يا امي ، مأذنين ؟ » .

كانت امها نائمة في تراب شمال المخيم . منذ جاء السيل ودهم المخيم . ذلك السيل جاء المخيم فاجتاحه وطاف واخذ منه اطفاله فاتحا طريق الموت لاطفال اللاجئين . وما الذي اصاب فاطمة وامها ؟ لقد جرفهما السيل . « السيل والوبل والليل » . وعندما يذهب عشرة من رجال القرية ، للتفتيش عن جثث الضحايا بعد ليلة الطوفان « فكل واحد منهم ، يحكي لعشرين او ثلاثين : كيف انهم جمدوا في اماكنهم عند اعلى المنحدر ، حينما رأوا تلك اليد الممدودة من بين الصخور فوق هاوية الوادي ، وهي ممسكة بالجسم الصغير المعلق في الفضاء ، ولم يتجاسروا على الاقتراب ، فورا » . ويكون ان ينقلوا الصغيرة ، لئلا تسقط مرة اخرة في سحيق اعماق الهاوية . بعد ان أخذ اليه الموت أمها ، وظلت الام بعد ان غادرت الحياة تتشبث بيد الطفلة ، ويدها « مطبقة على ذيل ثوب ابنتها ، ولا تنفتح » . ولا تذهب الى موتها الا وفي يدها قطعة من ثوب ابنتها .

وفي انتظار رجوع العريس ، تذهب اللاجئات البصاويات ليحضرن فاطمة من عند امها ، وقد تكشف لهن اين ذهبت ، فترجع فاطمة ، وتستمر مظاهر الاحتفال السعيد . الغناء والرقص والدبكة ، والضيوف يشهدون : « هل ان هؤلاء اللاجئين ، يرقصون الدبكة في ساحة هذا المخيم ام انهم قد عزموا على السفر ؟ » . ذلك ان اللاجئين وهم في غمرة الدبكة قفزوا في الهواء ثم « نزلوا الى الارض دفعة واحدة ، حيث القوا بثقل أجسامهم على الساحة ، كأنهم بضربة واحدة ، يريدون ان يفتحوا منها طريقا معبدا ، يبدأون منه السفر . فاهتزت أرض المخيم » .

وفي انتظار رجوع العريس يسأل الضيوف والد العريس عن دعوة في الغد الى طعام الغداء « فهد وجميع اهله ، وكذلك كل أهل البصه » .

وما هي الا لحظات ، حتى وصل ضوء مصابيح سيارات عديدة قادمة باتجاه باب المخيم الرئيسي ، فركض أهل المخيم جميعا . وركض كذلك الضيوف لاستقبال الموكب . وركضت فاطمة ملهوفة ، أمام الجميع . وفكر الضيوف ان ذلك لا يجوز من فاطمة « ان تركض البنت وهي صبية وحلوة ، هكذا أمام الناس علنا لاستقبال عريسها . بل عليها ان تنتظر حتى يذهب الناس وتنتهي الحفلة ، وتختلي بعريسها ، وحدهما . لا مانع . هناك يحلو للرب ان يبارك الحب والحنان . ينبسط الله ، كلما رأى البشر ، هكذا ، متحابين بطهارة وحياء . لكن عروس فهد لم تنتظر ، فيا عيب الشوم » . حتى يفسح الطريق أمام العريس . وعند ذلك يمشي اللاجئون والضيوف ، بالنعش باتجاه الساحة .

●

« قالوا : كان الكمائن ، من ذل المخيم تخرج صاعدة الى عز الجبل . وقد طوى اصحابها من فوق رؤوسهم آلاف الخيام ، ورفعوا بدلا منها للقتال ، راية . فمن يستطيع ان يعترض طريقهم ؟ وفاطمة تقفز وتبوس » .

●

« اهلا باصحاب فهد . في ليلة فرحنا بعرسه. اهلا . شرفتمونا . وانا النمر ابا الفهد . ارحب بكم وابوسكم من شواربكم ، فردا فردا

– فانه بعد ذلك ، التفت الى ابنه الفهد وساله :

يا فهد . هل وصلت لعند ابي [illegible] واستأذنت لعروسك منه ان تتزوج . فانك [illegible] لي الوعد ان تصل . فهل انك يا فهد بالوعد وفيت ؟ لنزوجك الليلة بغير الطريقة اللاجئية

اجاب رفاق فهد بنفس واحد : – وصلنا .

فسأل النمر ابنه الفهد : – فهل انك يا فهد ، عدت من عند ابي فاطمة ، بالعلامة ؟

قالوا : بارودة عثملية عتيقة . اكل السنين خشبها . فلم يبق منها سوى حديد الماسورة . والفهد ربط براسها ثوب [illegible] الصغير المقصوص من ذيله . وغرسها فوق قبر ابي فاطمة ، وقال : خلوا كراية البصاويين التحية . ضربنا لها من بنادقنا السلام » .

●

لما سألت فاطمة رفاق فهد ، ان كان قد [illegible] لها هدية ، ناولوها « احدى البنادق التي كانوا يحملونها وصاحوا : هذه بندقية فهد ، وقد أرسلها اليك ، هدية » .

فما الذي تفعله العروس بالبندقية ؟

هتفت فاطمة ، بعد ان اشارت الى الشريط البعيد المعلق في الساحة ، وتتدلى منه ثلاث وعشرون نقطة من الضوء :

« ازغرد لكم يا أهلي ، فانظروا . لاول سنة من عمر فهد ، طلقة . وهو يتعلم المشي في كل اشجار الزيتون ، في كروم الضيعة . وضغطت فاطمة على زناد البندقية فانطلقت رصاصة . واذا باول لمبة في الشريط ، هناك في الساحة تطق ، باصابة محكمة عجيبة . واذا بالنور في لمبة فلسطين الكبيرة يتوهج .

– للسنة الثانية من عمر فهد ، طلقة . وهو يتعلم الكلام ، بالعربية . لا لاجئية ولا مخيمية . واطلقت .. وفي كل مرة تزداد لمبة فلسطين توهجا حتى الثالثة والعشرين .

« للثالثة والعشرين ، آخر طلقة . في يوم ميلاد فهد . ومن ميلاد فهد يا بصاويون ، ابدا بالرابعة والعشرين ، لاردها الى صدور القاتلين ، فليسمعوا وليعدوا كم من الرصاص اطلق عليهم »

●

سيكون للمقاتلين الفلسطينيين ، ان يقراوا في قواعدهم ، وفي اي مكان يكونون فيه ، هذه الرواية ، فهي انشودة عز . انشودة اطلاق الرصاص على الموت . وانشودة قيامة المخيم : من الذل والحياة « على معونات الاجانب » الى الفداء والثورة .

وليس طعم الفولكلور او الاسطورة في الرواية ، الا الاضافة الاخرى التي ينطوي عليها الواقع ، اليوم : الحلم الذي يكمل الواقع ، والبطولة البشرية التي تسقط مضرجة بالمجد والحياة .

سيكون للمقاتلين الفلسطينيين ان يقراوا روايتهم « عرس فلسطيني » .

ومن قبل سأل لينين عن رواية غوركي « الأم » للثورة الروسية . وهذه المرة ليقرا الفدائيون « عرس فلسطيني » وبضعة روايات اخرى ، ويضمونها في صدورهم ، فيما يمضون كل يوم ، في كتابة فصل جديد من رواية فلسطين العربية الجديدة .

□ م . سفيان

« المدرعة بوتمكين »

قررت لجنة الاعلام الفني التابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، عرض فيلم « المدرعة بوتمكين » للمخرج السوفياتي « سيرجي ايزنشتاين » ، ضمن الامسية السينمائية (السبت ٩ – ١ – ١٩٧١) ، مع مجموعة من الافلام القصيرة الملونة وافلام الكارتون وهذه الامسية هي حلقة من سلسلة امسيات سينمائية تنظمها اللجنة ، مستهدفة من ذلك نشر الثقافة الفنية الثورية ، في صفوف الجماهير .

و « المدرعة بوتمكين » فيلم يتحدث عن ثورة بحارة المدرعة ، برفضهم اكل اللحم الفاسد ، وعندما يأمر القبطان باعدامهم يرفض زملاؤهم اطلاق الرصاص عليهم . وتسري الثورة شيئا فشيئا ، عندما يقتل احد البحارة على اثر صدام مع الضباط . وعندما تنقل جثة الشهيد الى البر تلتحم جماهير الشعب مع ثورة البحارة فتتعرض هذه الجماهير لنيران الجنود ، في مشهد اطلق عليه (سينمائيا) – سلالم الاوديسا – الذي يعتبر من المشاهد العظيمة . ويقع هذا المشهد في الفصل الرابع من الفيلم ، حيث يضم خمسة فصول . ومن المفيد هنا ان نعلم ، بان « المدرعة بوتمكين » اصبح النموذج المتميز للفيلم السينمائي الذي يدرس في كافة معاهد السينما في العالم .

ان جماهيرنا مدعوة لحضور هذا الفيلم الى جانب الجماهير الشعبية ، مساء اليوم السبت ، السادسة والنصف ، في مركز انعاش المخيم الفلسطيني قرب مخيم شاتيلا (مقابل المشروع الاخضر) .

بطاقة الدخول : ٢٥ ق. ل.

شهادة اطفال الوحدات في المجزرة الهاشمية

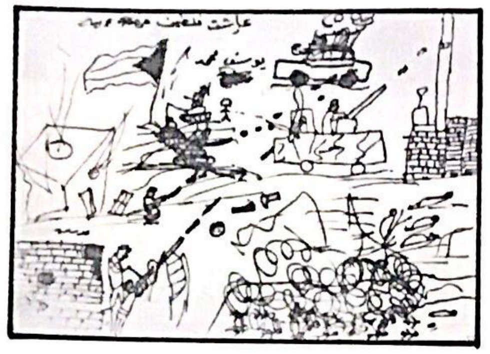

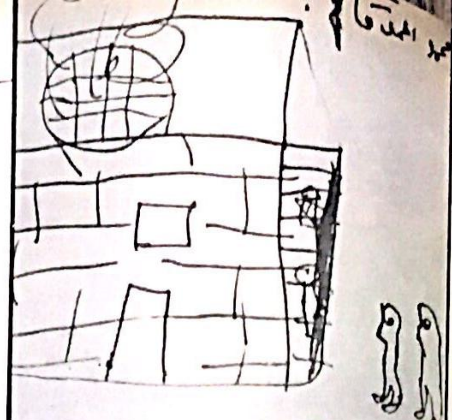

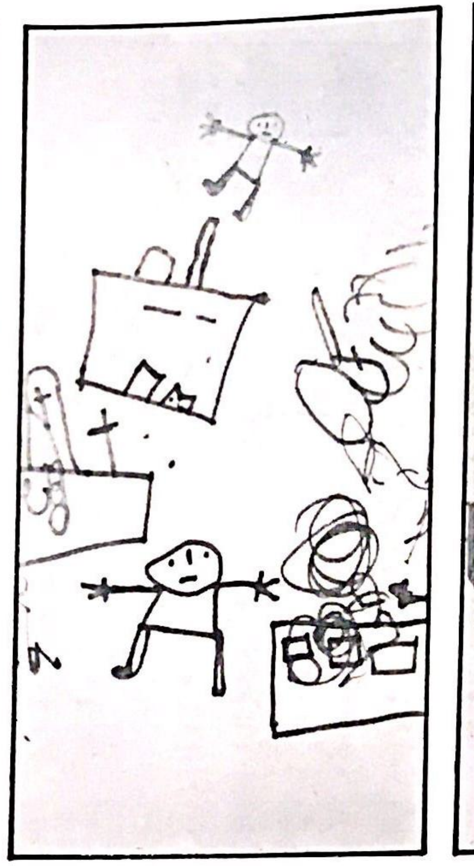

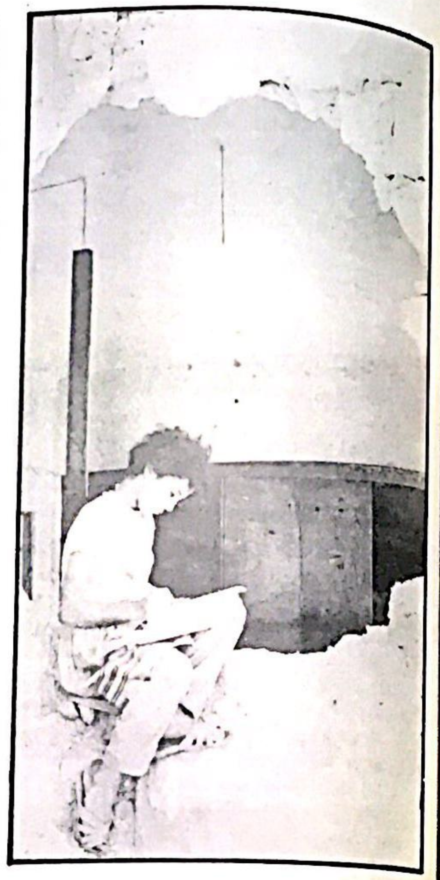

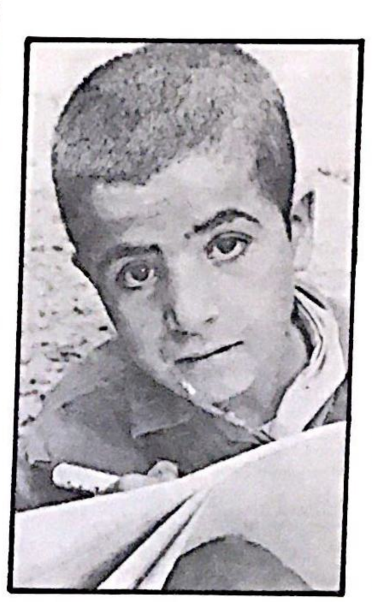

الطفولة الفلسطينية التي سفكت دماؤها في دير ياسين وكفر قاسم وغزة وقلقيلية ، على يد السلطات الصهيونية . تتعرض في ايلول ١٩٧٠ للمصير ذاته ، وبصورة اشد وحشية وهولا ، في « الديار العربية » . كان ذلك على يد السلطات « العربية » ، الرجعية في الاردن . وما فعلته اليد الآثمة . لم تمسحه يد التواطؤ والتسامح والزلفى ، بل ظل محسوبا لدى الطفولة. الطفولة السائغة البريئة ، التي كان لعيونها ان تفتح على مدى الفقر والقهر والصبر . ومن اجل ذلك مضت الزهرات والاشبال الى الاوراق والاقلام والالوان . لتسجل بأعصابها الصغيرة ، كل مشاعرها واسرارها المختزنة . فسجلت من القلب والذاكرة ، ما حدث من مفعول « اخوة الدم والمصير » . وسجلت ايضا ما يجب ان يكون في مستقبل الايام .

فكانت شهادة من اطفال الوحدات ، ليس مثلها . شهادة لا نملك الا ان نحدق فيها ، ونحدق عبرها في « زمن الفساد » الراهن ، الذي لا بد من الثأر منه ، بالثورة المسلحة . وعندها تبلغ هذه الرسوم أسبابها ..
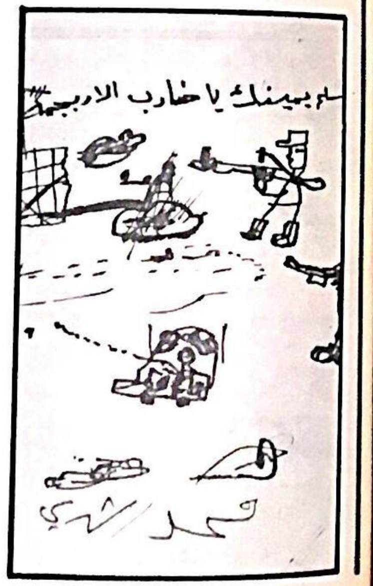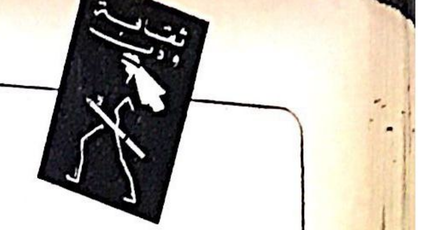
(التقط الصور المصور العالمي ادي آدامز)